فلسطينيّو 48

وحرب الإبادة على غـــزّة

مساءلة الصمت والفاعليّة السياسيّة

تحريـــر:
همّت زعـبي وعرين هـوّاري

مدى الكرمل
المـركـز العـربـي للـدراسـات الاجتماعية التطبيقية

المحتويات

المقدّمة **5**

همّت زعبي وعرين هوّاري

الباب الأول: مداخلات افتتاحية **13**

الحرب على غزّة... إبادة للإنسان والمكان 15

إلهام شمالي

فلسطينيّو 48 والحرب؛ المكان والمكانة 21

مهنّد مصطفى

الباب الثاني: مقـالات **25**

مواقف المجتمع العربيّ تجاه الحرب على غزّة وإسقاطاتها السياسيّة: تحليل استطلاع رأي عامّ- مدى الكرمل 27

امطانس شحادة

قصّة "كوخ العم توم" والداخل الفلسطينيّ 51

حبيب مخّول

بين قبضة الملاحَقة ومحدوديّة الفاعليّة: الطلبة فلسطـينيّـو الـ 48 في الجامعات الإسرائيليّة في أعقاب حرب الإبادة على قِطاع غزّة 73

يوسف طه

الباب الثالث : دراسـات **97**

فلسطينيّو الـ 48 وصفقة التبادل بعد السابع من أكتوبر 2023: بين مواطَنة العدوّ والمواطَنة العارية 99

محمّد عوّاد

الالتحام والانفصال في علاقة الداخل مع لحظة غزّة: عن أيّ تَوقٍ وعن أيّ طَوقٍ نكشف؟ **135**
حنين زعبي

مَفْـهَمَة الإبادة الجماعيّة في غزّة- تحليل نصوص مجلّة "فسحة ثقافيّة فلسطينيّة" منذ السابع من أكتوبر 2023 **175**
جاد قعدان

أصوات مكتومة وفضاءات معسكرة: الأطباء الفلسطينيون في المستشفيات الإسرائيليّة بعد السابع من أكتوبر **213**
غادة مجادلة

المساهِمون في الكتاب **253**

فلسطينيّو 48 والحرب؛ المكان والمكانة

مهنّد مصطفى

أودّ أن أشارككم حديثًا دار بيني وبين أحد الفلسطينيّين ممّن تركوا غزّة، أو السجن الأكبر في العالم -كما وصفه إيلان پـاپـي في كتابه عن قِطاع غزّة- وذلك في لقاءات جمعتنا خارج فلسطين.

بدون مقدّمات كان سؤاله الأوّل: أين عرب الـ48 ممّا يجري في غزّة؟ حاولت أن ألبس عباءة الباحث الذي يخفي وراءها الحقيقة الـمُرّة، وشرحت له ظروفنا، وحساباتنا الباردة، وموازين الربح والخسارة. قال لي: هل تعلم أنّ هنالك إبادة في قِطاع غزّة؟ هل تخافون من دفع ثمن، في ظلّ القتل الجماعيّ والتدمير المنهجيّ لقِطاع غزّة؟ لماذا لم تتحرّكوا مثل ما تحرّكتم في أيّار عام 2021؟ لماذا لم تُطْلِقوا صرخة مدوّية، ولا حراكًا شعبيًّا مزعجًا للدولة؟ لماذا لم تُشعِرونا أنّكم جزء منّا؟ غزّة لن تنسى لكم هذا الموقف.

بعد نحو أربعة أشهر من بداية الحرب، وعندما قرّرت الدولة اليهوديّة إرخاء الحبل لنا عندما عادت إلى توازنها الداخليّ إلى حدٍّ ما، ظهر أنّها أرْختْه عندما تكيّفنا مع الحرب والإبادة والتدمير في قِطاع غزّة، وعندما تمحور نضالنا في حرّيّة التعبير والمشاعر، وهو ما توهّمنا أنّنا نحن من حقّقناه. نحن لم نحقّقه من خلال مواجهة سياسة الإخراس، والقمع، بل أعطتنا إيّاه الدولة اليهوديّة عندما فهمت أنّها أخضعتنا، وانتصرت علينا. هذه هي الحقيقة؛ كان إرخاء الحبْل منذ الشهر الرابع للحرب هو نتيجة الإخضاع لا نتيجة نضال قاوَمَ الإخضاع.

لا يجب أن ننسى، بعد ثمانية أشهر من الحرب، أنّه في الأشهر الثلاثة الأولى منها سادت في صفوفنا حالة من الخوف، هو خوف بثّه الجمهور للقادة، وبثّته القيادة للجمهور، وشاركتْ فيه نُخَبٌ من كلّ القِطاعات دون استثناء. ما يدلّ عليه ذلك أنّ المواطَنة لم تكن وهمًا تعاملت به إسرائيل معنا، بل كانت بالمفهوم النظريّ مواطَنة فارغة. لم نجرؤ حتّى على اختبارها في الحرب، لأنّنا كنّا نعلم -في قَرارة أنفسنا وإدراكنا العقليّ وحَدْسنا الداخليّ والفِطْريّ- أنّها لن تحمينا، وأنّ الدولة هنا هي مشروع لم يكتمل ولن يكتمل.

في السنوات الأخيرة، تفاخرنا -أو زعمنا على وجه الدقّة- أنّنا نصلح لقيادة الحركة الوطنيّة، وأنّنا قادرون على التنظير لها، لكنّنا فهِمنا إسرائيل جيّدًا، وبعمق؛ وهذا صحيح، لدرجة أنّ فَهْمنا العميق لها كاستعمار استيطانيّ، بتفاصيل هذا المشروع من سياسات قطف الزعتر، ولافتات الشوارع، إلى سياسة مصادرة الأرض وانتهاءً بتراتُبيّة الحقوق الجماعيّة والفرديّة، ومعنى الدولة، والمواطَنة، أدّى إلى خوفنا من هذا المشروع، لأنّنا نفهمه، ولكن هذا الفَهْم المعمّق لم يبنِ مشروعًا. والخوف من المشروع ليس فقط خوفنا من المشروع الصهيونيّ في حالة حرب، كما اليوم في غزّة، بل خوفنا من طرح مشروع عمليّ يتّفق مع فَهْمنا للمشروع الصهيونيّ أنّه مشروع استعمار استيطانيّ.

ليس هنالك تفسير لسياسة الصمت إلّا الخوف. لم يكن هذا الصمت مقاومة، كما ستُظهِر مستقبَلًا كذلك أبحاث ودراسات الصمت والصامتين. ولم يكن هذا الصمت تعبيرًا عن الحكمة كما سيبرّر له القادة الصامتون. لقد كان خوفًا. هل الخوف شعور شرعيّ؟ أعتقد ذلك، ولا يمكن إجبار الناس على عدم الخوف في ظلّ نُخَب صامتة، ولكن هل هذا الخوف يبرّر حالة التكيُّف مع الإبادة؟ الجواب هو: لا.

ظهر مع بداية الحرب تنظيم للجان طوارئ للدفاع عن المعتقلين، وحماية الطلبة الجامعيّين، وتنظيم مظاهرات ووقفات قليلة جدًّا طبعًا، ولكن هل هذا يستجيب للنكبة في قِطاع غزّة؟ نعيش اليوم نكبة، تمارس فيها إسرائيل أساليب نكبويّة في قِطاع غزّة، والآن في الضفّة الغربيّة. بعد 75 عامًا على النكبة، عشنا متوهّمين أنّنا قادرون على منع حدوث نكبة، ولكن لو حدثت النكبة لنا لجَرَتْ بيُسْر وسهولة. مجتمع لا يعي أنّ هنالك نكبة هو مجتمع عاد لممارسة حياته الطبيعيّة بعد أشهر من الحرب، ويعوّض تضامنه وحزنه بمشاهدة الأخبار.

لم يعد من الكافي تفسير هذا الصمت بأنّه نتيجة لسياسات القمع التي تنتهجها إسرائيل تجاهنا، بعد كلّ هبّة شعبية نصل فيها لذروة نضالنا لتردع المجتمع وتخيفه، على نحوِ ما كان في "انتفاضة القدس والأقصى" عام 2000، وفي "هبّة الكرامة" عام 2021. بل نحتاج إلى النظر إلى ذواتنا، ونعود الى السؤال المركزيّ، ماذا يعني أن نكون فلسطينيّين؟ هل الهُويّة الفلكلوريّة، والفعل الثقافيّ، والأدبيّ، والمقاهي الثقافيّة، وارتداء الحطّة الفلسطينيّة، وقلادة حنظلة، والمشارَكة في مسيرة العودة، والانتشاء الوطنيّ عند سماع الأناشيد الوطنيّة، تكفي لأن تكون فلسطينيًّا؟ لا، بل كلّها ممارَسات تعويضيّة. هي فائض يعوّض عن نقص المشروع السياسيّ، وغياب المشروع السياسيّ، الذي نكتوي من غيابه في العَقد الأخير تحديدًا. بغياب مشروع سياسيّ، لن تتحوّل "هبّة الكرامة" إلى لحظة سياسيّة نعيد فيها إنتاج مشروعنا الجمعيّ، بل ستتبخّر، كما أنّ الثورة العالميّة الحاليّة، التي أعادت قضيّة فلسطين كقضيّة عدالة تَجْمع العالَـم الحرّ حولها (ليس العالم الحرب- نتنياهويّ)، سوف تتبخّر بغياب مشروع سياسيّ فلسطينيّ. هذا ما أنا مقتنع به. أعاد أهالي غزّة قضيّة فلسطين، وعلينا أن نمسكها، كما تحاول الآن كلّ الجاليات الفلسطينيّة في العالم أن تتنظّم من جديد؛ ونحن لسنا جالية. نحن في الوطن ولا نتنظّم. لن أنسى بكاء فلسطينيّة في لندن، من جيل الفلسطينيّين الثاني، عندما قالت: "اكتشفت في هذه اللحظات بؤسَ أنّي لم أعلّم بناتي اللغة العربيّة، كتعبير عن هُويّتي الفلسطينيّة"، وكم هي نادمة اليوم على ذلك.

هل تَنظَّمْنا، مثل المحاضرين الفلسطينيّين في العالم الذين يتطوّعون لتدريس طلبة غزّة بسبب تدمير الأكاديميا الفلسطينيّة؟ هل تَنظَّمْنا كأطبّاء ضدّ سياسة استهداف الجهاز الصحّيّ في غزّة؟ كمعلّمين؟ كرؤساء بلديّات ضدّ تدمير الحكم المحلّيّ في قِطاع غزّة، وكلّ القِطاعات؟ الجواب: لا. هل جلسنا لنفكّر؟ لا. لماذا؟ لأنّه ليس ثمّة مشروع سياسيّ.

وهنا تحضرني القصيدة الأخيرة التي كتبها الشاعر والأكاديميّ الفلسطينيّ الدكتور رفعت العرعير، الذي استُشهِد في كانون الأوّل 2023، مثل مئات الأكاديميّين والطلبة الذين قُتِلوا خلال الحرب، بثّ فيها رسالة الحياة أمام الموت، القصيدة التي قال فيها:

"إذا كان لا بدّ أن أموت
فلا بدّ أن تعيش أنت

لتروي حكايتي
لتبيع أشيائي
وتشتري قطعة قماش
وخيوطًا
(فلتكن بيضاء وبذيلٍ طويل)
كي يُبصر طفلٌ في مكانٍ ما من غزّة
وهو يحدّق في السماء
منتظرًا أباه الذي رحل فجأة
دون أن يودّع أحدًا
ولا حتّى لحمه
أو ذاته
يبصر الطائرة الورقيّة
طائرتي الورقيّة التي صنعتَها أنت
تحلّق في الأعالي
ويظنّ للحظة أنّ هناك ملاكًا
يعيد الحبّ
إذا كان لا بدّ أن أموت
فليأتِ موتي بالأمل
فليصبح حكاية".

تعتمد معظم فصول هذا الكتاب على الأوراق التي قُدِّمت خلال مؤتمر مدى الكرمل السنويّ عام 2024، الذي عُقِد بعد مرور بضعة أشهر على بداية حرب الإبادة على قِطاع غزّة، وجاء تحت عنوان "فلسطينيّو 48 والحرب على غزّة". جاء المؤتمر في لحظة ترسّخَ فيها الخوف وساد فيها الصمت وبرز الفعل السياسيّ من خلال غياب هذا الفعل! كذلك كشفت هذه اللحظة عن اهتزاز مفاهيم كانت تُعتبَر ضمنًا قواعدَ ناظمةً للعلاقة مع الدولة، وفي مقدّمتها معنى المواطَنة وحدود شرعيّة الفعل السياسيّ.

تسعى فصول هذا الكتاب إلى تقديم تشخيص لأثر الحرب على غزّة على فلسطينيّي الـ48 وعلى فاعليّتهم السياسيّة أو غيابها. وهو محاولة لوصف الانكفاء والانخراط لا كموقفَيْن متقابلَيْن، بل كساحتَيْن متداخلتَيْن في صراع الوعي والسياسة: بين الخوف والغضب، بين الصمت والرغبة في الفعل، بين إعادةِ إنتاج شروط الإخضاع والبحثِ عن أفق سياسيّ جديد. إنّ أوراق هذا الكتاب، التي تتنوّع بين التحليل السياسيّ والنفسيّ والثقافيّ والفلسفيّ، تنطلق من وعي أنّ غزّة هي المركز الذي يعيد ترتيب أسئلة الفلسطينيّين في الداخل عن الذات والموقع والمعنى السياسيّ، كما تفرض على العالم كافّة، وعلى أحراره ومثقّفيه النقديّين تحديدًا، إعادةَ النظر في قناعاتهم ومفاهيمهم وفي المرجعيّات التي ينطلقون منها والقوى التي يعوّلون عليها.

The ’48 Palestinians and the Genocidal War on Gaza: A Critical Inquiry into Silence and Political Agency.

Edited by: Himmat Zoubi and Areen Hawari

ISBN: 978-965-7308-33-2

مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية